Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وملابسات هذه القصيدة تدور حول حياة الشنفرى والأحداث التى دفعته إلى الصعلكة[٣٩] وذلك أن الشنفرى تعرض منذ صباه لحياة بالغة القسوة ، حيث اختطف ضمن من اختطف فى إحدى الغارات على قبيلته اليمنية الأصل ، وعاش منذ ذلك حياة العبيد فى القبيلة المغيرة بنى سلامان ، ولم ينعم حتى بحياة العبيد العادية ، بل قدر له أن يتعرض لأحداث ملأت نفسه نقمة وسخطا حتى آلى على نفسه أن يقتل من بنى سلامان مائة شخص ، ومعنى ذلك أن نفسه بلغت من السخط على الناس أقصاه ، لأن هذه القبيلة التى يقع عليها أصبحت هى كل الناس فى نظره ، ولم يكن أمامه حينئذ إلا أسلوب الصعاليك فى اللجوء إلى الصحراء واتخاذ اللصوصية وقطع الطريق وسيلة للعيش ، وقد فعل حتى كان من أشهر صعاليك العرب على الإطلاق ، وحتى ضرب به المثل فى أكثر من مجال ، ثم فى بعض أحقاب حياته فى الصعلكة أنشأ هذه القصيدة التى جعلها سجلاً كاملاً ووافياً لكل أطوار حياته وأسلوب معيشته ، بل وخوالج نفسه ، فكانت أشبه بالمذكرات الشخصية .

ومن هنا تتبين علاقة المطلع بنفسية الشنفرى ، فإن أبرز المشاعر المسيطرة على نفسه هو السخط على المجتمع ، وهذا الشعور نفسه هو ما دفعه إلى حياة الصعلكة ، وهذا كله نجده واضحاً صريحاً فى البيت الأول ، فإنه فى الشطر الأول (أقيموا بنى أمى صدور مطيكم) يعلن استعداده وتهيؤه للرحيل ، وفى الشطر الثانى (فإنى إلى قوم سواكم لأميل) يصرح بأنه متجه إلى قوم آخرين ليعيش بينهم ، وسيحدثنا فى الأبيات التالية بأنه يعنى بالقوم الآخرين الوحوش .

ونجد منهج التدرج المشار إليه فى القصائد السابقة ماثلاً هنا أيضاً ، ففى البيت الأول يجمل كل مشاعره ونفسيته التى تنحصر حينئذ فى سخطه على الناس ، وتفضيله مجتمع الوحش عليهم ، وتصميمه على الرحيل من مجتمع الناس إلى المجتمع الوحشى الجديد ، ثم فى بقية أبيات المطلع يفصل هذا الإجمال ، فى تتابع منطقى من وجهة عرضه لموضوعه ، فكأنه تخيل حواراً يدور حول ما أعلنه فى البيت الأول ، وكأن هناك من يحاوره فى العدول عن عزمه على هجرة المجتمع الآدمى ، فيرد بأنه أبرم الأمر فى روية ، وفى أحسن أوقات التفكير ، فى ضوء القمر ، بعيداً عن صخب النهار ووحشة الظلام ، وأصبح العزم ليس مجرد تفكير ، وإنما بدأ فعلاً فى التنفيذ ، كشخص شد مطيته ورحله ، وما عليه إلا أن يمضى :